# دفاعاً عن الزنوج

## مقابلة خاصة مع

## جيمز بولدوين

– عندما تشرفت بمعرفتك في باريس ، هنا ، قبل ثمانية اعوام او تسعة ، كنت كاتباً وقاصاً وباحثاً . الا انني اكتشفت الآن ، بمطالعة الصحف ورؤية غلافات كبرى المجلات ، انك قد برزت كقائد زنجي كبير . هل هذا التحول ، برأيك ، ارسالية جديدة تقوم بها، ام فترة استراحة تتخلل عملك الادبي ، ام انه دعوة لا مفر منها ؟

**بولدوين :** يصعب عليّ كثيراً ان اجيب على ذلك . انا لست زعيماً زنجياً ، بكل تأكيد . لا ادري ماذا تدعو ذلك ؛ ربما يصح ان تقول فيه انه نوع من الرسالة ، ولكني لا اعتبر نفسي زعيماً زنجياً قط . اظن ان ما حصل كان ضرباً مفاجئاً من تجمع الظروف. اما ما يعنيه الناس بقولهم «المشكلة الزنجية» فامر لم افهمه قط ؛ ولكن مهما كان ما يعنونه فقد استبد بهم ، وبرزت انا كشخصية شعبية بفضل الضغط الداخلي للحياة في الولايات

المتحدة في هذه الايام . وهذا في الحقيقة يحزنني جداً ، ولا علاقة له بي ككاتب . اني متضايق منه قليلاً ، ولا استطيع ان افعل شيئاً غير القبول به ومن ثم تجاوزه . اعني ان لديّ اموراً اخرى كثيرة لكي اكتب عنها ، ويستحيل ان تكون كاتباً وداعية شعبياً في آن واحد : فان الخط الذي عليك ان تسلكه في السياسة مبسط جداً بنظري . وقد افعل شيئاً آخر ، تستطيع ان تفعله على صفحة ، تستطيع ان تفعله ككاتب ؛ ولكنك لا تستطيع ان تتكلم كلاماً حاسماً قاطعاً ككاتب ، ولا تستطيع ان تحكم على الاشياء بانها اما بيضاء او سوداء ، وعلى الانسان ان يتجنب الاعتقاد بان الامور اما بيضاء او سوداء . هل تفهم ما اعنيه ؟

– ماذا حدث بالضبط مما ضغط عليك وحملك على سلوك هذا الخط ؟

**بولدوين:** اظن ان لاحد الاسباب (وربما كان هو السبب الاكبر) علاقة باخوتي واخواتي وابناء اخوتي واخواتي . لقد نشأنا ، اخوتي واخواتي وانا ، في الشوارع . وصمدنا كلنا ، بشكل ما . وحتى الآن لا يزال ابناء اخوتي واخواتي هناك .

– في هارلم ؟

**بولدوين:** في هارلم وفي البرونكس؛ انهم مشتتون نوعاً ما. وانا ألاحق امورهم دائماً، يوماً بعد آخر. لا اعني اني اتصل بهم اسبوعياً ، الا اني اعلم ماذا يحصل لاخوتي في اعمالهم المختلفة وما يعتريهم من سوء حظوظ : فهم يتحدثون لي عنها . واعلم ماذا يحصل لاخواتي، واعلم ماذا يحصل لابنائهن : وهذا يقيدني . كان يمكن لي ان احيا حياة مختلفة جداً ، او ان اقوم باعمال مختلفة ، لو كنا نشأنا نشأة مختلفة ، لو لم نكن على هذا الفقر ولو كنا مشتتين مثل عائلات اخرى كثيرة . ولكن اذ لم نكن مشتتين تحولت ، دون ان ادري ، الى عم غريب الاطوار ، يهرعون اليه لما يجري احدهم عملية جراحية، مثلاً . لم اكن اجني مالاً كثيراً ، ولكن ما جنيته كان لا بأس به : لذلك اعتقدوا ان عندي مالاً كثيراً . وكنت اعلم لما اذهب الى حفلات الكوكتيل ان ما يتكلم عنه اولئك المتحررون المثاليون الحساسون لم يكن يشبه اخوتي واخواتي من قريب او بعيد . واذ كنت استطيع الكلام ، ولم يستطيعوا هم ذلك ، كنت اضطر ان اتكلم باسمهم ، ولو من اجل معنوياتهم فقط ، حتى يعرفوا ان ما كان يحصل لهم لم يكن يجري في صمت مطبق. كان عليّ ان

هذه حلقة سابعة في سلسلة المقابلات التي تنشرها « حوار » بانتظام مع كبار الادباء العالميين .

وجيمز بولدوين في طليعة روائيي امريكا المعاصرين، وبالاضافة الى هذا فقد برز اسمه في الاونة الاخيرة كقائد روحي وفكري ودعائي في حملة الدفاع عن حقوق الزنوج . وقد جرت هذه المقابلة الخاصة معه في باريس في آخر الصيف الحالي ، وقام بها لنا فرنسوا بوندي احد رؤساء تحرير مجلة «بريف» الفرنسية .

وقد سبق « لحوار » ان نشرت مقابلات مع ت. س. اليوت ولورنس ضريل وهنري ميلر والبرتو مورافيا ، بالاتفاق مع مصدرها الاصلي ، ومقابلتين مع نجيب محفوظ واوجين يونسكو خاصتين بها .

اجتهد لمساعدتهم ولمساعدة نفسي للبقاء احياء . ان الشكل الذي يستعمله الناس في الكلام عن المشكلة الزنجية يبدو انه لا علاقة له باحد اعرفه ولا بشيء اختبرته .

– ولكنك بدأت تتكلم في وقت لم تكن القضية الزنجية فيه في خطر الوقوع في نسيان او اهمال ، بل في وقت وجد فيه ، ولو في الظاهر فقط ، ناطقون محترفون ومبشرون وقادة سياسيون ، تحت كل انواع الضغط وظروف الكيان المادي للمجتمع الامريكي ، وبفضل قيام دول افريقية جديدة ، وعوامل اخرى كثيرة . لذلك ليس بسببك فقط منعت القضية من النسيان . اننا في زمن يهتم فيه كل انسان في امريكا بهذه القضية ، على ما اظن. ولكن كلامك انت برهان على وجود شيء ما ، امر ما ، خشيت ان يعتريه النسيان او الاهمال او سوء الفهم . ما هو ذلك الامر ؟

**بولدوين** : ما عنيته لما قلت ان كلام الناس عن مسألة الزنوج لا علاقة له بالمخلوقات البشرية (وقد استعملت لوصف الامر تعبيراً بسيطاً) هو انه يبدو ان هناك افتراضاً غريباً عند جزء كبير من الرأي الامريكي العام يقول بان الزنوج هم اما قديسون او شياطين (مستعملاً تعبيراً بسيطاً مرة اخرى)، ولذلك يعتقدون ان كلمة «زنجي» تعني شيئاً: والواقع انها لا تعني شيئاً . ليس هناك شيء اسمه زنجي ، ولكن هناك شيئاً اسمه صبي او رجل او امرأة ، قد يكون اسود او ابيض او اصفر او اي شيء آخر . ولكنك عندما تقول : « المسألة الزنجية » فانك تخلق صرحاً ضخماً جداً تقع تحت جدرانه آلاف الملايين من حيوات المخلوقات البشرية التي يقضى عليها لانك تحب ان تعالج الامر من زاوية مجردة مطلقة . وما اعلمه هو ان هؤلاء بشر ، وان هناك شيئاً آخر ، اسوأ : انهم مثل اي انسان آخر ، تماماً . ان الزنوج قادرون على اقتراف كل الجرائم التي سمعت بها ، وعلى كل التعصب وكل العنف ، وعلى كل شيء استطاع انسان ان يفعله في العالم – وقد فعل الناس اشياء رهيبة كثيرة . هذه الاشياء ايضاً يقدر الزنوج ان يفعلوها . يتوهم البيض في امريكا توهماً عاطفياً ان ذلك غير صحيح ، ويتمسكون بتوهمهم . وكلما طال امد هذا التمسك ازداد المستقبل خطراً . ان تركيب العالم باسره ، من حيث السلطة ، بل اقتصادياً ايضاً ، في تبدل (ذلك حقيقة مهما طال امد هذا التبدل)، والله وحده يعلم اين يتجه . لقد اختفى العالم الذي ولدنا فيه ، نحن الذين نجلس في هذه الغرفة ، وزال بالمرة . يبدو لي ان احد جوانب المشكلة هو انه ليس من واحد فكر بهؤلاء الذين يملأون العالم اليوم، الذين يتدفقون على عواصم العالم ، حينما حققت بريطانيا ثورتها الفريدة ، وكذلك فرنسا ، وحينما خطت

امريكا اعلان الاستقلال او الدستور . لما تكلمت انكلترا عن ان « البريطانيين لن يصبحوا قط عبيداً » ، لم تكن تفكر بشعب جمايكا — وهم اليوم نشيطون جداً وأحياء ولا ينوون ان يكونوا عبيداً . واذا كان الغرب سيصمد ( او ما يسمى بالغرب ، او ما يحب المرء ان يفكر به كنظام قيم غربي ، الذي ، مهما كان نوعه ، قد أسهمتُ فيه ، وأقدِّره ) فان الطريقة الوحيدة الى ذلك هي ، بنظري ، جعل هذه الشعوب من ضمن ما قصدوه لما قالوا حرية ، لما تفوّهوا بهذه الكلمة لأول مرة . ولكن اذا لم يفعلوا ذلك ، بل اذا لم نفعل نحن ذلك ، ان لم نفعل نحن ذلك في الغرب ، فانه لا مستقبل لنا . وذلك لأن هذه الشعوب التي تخرج من عصور ظلمة واضطهاد لن تزول من الوجود ، وسيجعلنا وجودها ونشاطها أقوى مما نحن عليه الآن ، كإمكانية وكحقيقة . لذلك يخيل إليّ ان المسألة هي ما اذا كنا نستطيع ان نعدّل انفسنا ومؤسساتنا : ان نمدد انفسنا ومؤسساتنا بطريقة تجعل بالمستطاع لنا ولمؤسساتنا تقبُّل هذه الحياة الجديدة . علينا ان نفعل ذلك ، وإلا فلا أدري ما الذي سيحصل لنا . يبدو لي ان هناك أشياء يمكن للامريكيين والانكليز والفرنسيين ان يفعلوها في كل هذه الأماكن ، ولا نستطيع ان نفعلها الآن . مثلاً : اعتقد ان المغامرة الامريكية في كوبا ، والسياسة الامريكية تجاه كوبا ، كارثة خطيرة لها مغزاها . لا أظن ان كوبياً واحداً ( بغضّ النظر عن عقيدته او مستواه المادي ، وبغضّ النظر عن رأيه بكاسترو ) يأخذ مزاعم الغرب عن تحرير كوبا على محمل الجد . لم تهتم امريكا ابداً بتحرير كوبا عندما كان باتيستا يحكمها ؛ ولا يمكن ان تكون معارضتنا لكوبا معارضة للدكتاتورية فيها ما دمنا نؤيد الدكتاتورية في أماكن اخرى كثيرة في العالم . ان المنطق الذي نستعمله في امريكا وفي الصحافة الامريكية يبدو مقنعاً اذا كنا نعيش في واشنطن او في أي مكان في امريكا ، ولكن ان كنت تعيش في اي مكان آخر من العالم فانه لا يبدو مقنعاً ابداً ، بل انه يدل على ان الأمر الوحيد الذي ازعج الامريكيين في قضية كوبا هو ان الرجل الخطأ قد تغلّب . ذلك كل ما في الامر ، وأنا متأكد الآن هذا هو رأي غالبية الكوبيين. لما أصف ذلك بأنه كارثة خطيرة لها مغزاها ، فاني اقصد انه كان بامكاننا ان نفعل الكثير لتعديل مجرى تلك الثورة نفسها ، واننا لو آزرنا الثورة لكان خطرها علينا أقلّ مما هو حاصل حالياً .

— هل تعتقد اننا ، داخل الولايات المتحدة، على عتبة ثورة عميقة تبدل اوضاع المجتمع الزنجي تبديلاً كاملاً ؟

**بولدوين :** اظن اننا على عتبة ثورة عميقة سوف تبدل لا المجتمع الزنجي فحسب بل البـــلاد كلها . ذلـك انه لا أمل في تحرير الزنوج ما لم يكن الانسان مستعداً لتحرير الامريكيين البيض .

– تحريرهم ممّ ؟

**بولدوين :** تحريرهم من مخاوفهم وتحريرهم من جهلهم وتحريرهم من تعصبهم، وتحريرهم في الحقيقة من حق اقتراف الخطأ وهم يعلمون انه خطأ . اظن ان سكان الجنوب البيض هم أتعس سكان العـــالم الغربي ، إذ انهم يعرفون انهم يخطئون : فأنت لا تستطيع ان تطلق كلباً ، او صنبور ماء ، على طفل ، ولا تعلم انك ترتكب خطأ . يجب ان تعرف ذلـك ، ولا يستطيع احد ان ينكر ذلك . هذا مثـــال متطرف لما أقصده في قولي ان الثورة لم تصمم لتبديل المجتمع الزنجي بقدر ما هي لتبديل المجتمع الامريكي والعلاقات الداخليـة في امريكا ، علاقات الامريكيين مع انفسهم. لا نستطيع ان نتحمل وجود مواطنين يشعرون بدرجات متنوعة من الخوف والقلق ، يتساءلون عما ستكون عليه خطوة الزنجي التالية ، خاصة وانهم هم الذين اخترعوه . أفهمت مرادي ؟

– نعم ، فهمت . ولكن في قطعة لك كتبتها قبل سبع سنوات عن اختباراتك في قرية سويسرية قلت ان الامريكيين لا يتخلفون عن الاوربيين بل هم يتقدمون عليهم لأنهم يواجهون المشكلة الحقيقية مواجهة أرحب كثيراً ، بينما غالباً ما نحسّ نحن هنا ان عنـدنا حلولاً لمجرد عدم وجود تلك المشكلة عندنا . هل لا زلت عند رأيك بأن المجتمع الامريكي يتقدم تقدماً باهراً ، ككل ، بسبب وجود ذلك التحدي ؟

**بولدوين :** اظن ان هذه المتاعب التي تواجهها امريكا تتيح لها الآن فرصة عظيمة . ما حاولت ان ابيّنه في تلـك القطعة قبل سنوات هو ان الامريكيـــين عرفوا عن مشكلة اللون ، لأنهم عاشوها مدة طويلة ، اكثر مما عرفه أي شعب اوربي – لأن اوربا لم يكن لها عبيد قط في القارة نفسها . ولكن ، من الجهة الاخرى ، هناك ثمن لما أسميتـه فرصة مناسبة لأمريكا ، هو في تفحصها لتاريخها ؛ وهو امر لم ترغب امريكا في اجرائه قط . اذا استطعنا ان نقول الحقيقة عما حصل للهنود وما حصل لرجل امريكا الأسود، وان نتخلص من كل هذه الاساطير المرعبـــة التي تغطي شاشة التلفزيون وصفحات الكتب والكتب المدرسية ، وان نقول الحقيقة عن علاقاتنا مع المكسيكيين ، مثلاً ، فعند ذاك نبـــدأ باستعمال قوة هائلة ، وذلك يمكن ان يخلص العالم . فلا سابقة للتجربة الامريكية في تاريخ

العالم ، على أي حال ، حسب علمي : ان امريكا هي المكان الوحيد في العالم الذي التقى فيه هذ العدد الضخم من الشعوب وخلقوا امة من العدم ، دون ان توجد فيه قيود النظام الاجتماعي الاوربي . وهي تجربة لا تزال ، بعد هذا كله ، في خطر عظيم وفي شك عظيم ، لأنه يصعب على شعب ان يتغلب على ماضيه الحقيقي او ان يواجهه . انه لأمر محير ان يكون المرء امريكياً احياناً : فاذا كان ابوك قد ولد في ايطاليا ، مثلاً ، وأردت انت ان تصبح امريكياً ، فانك لا تتكلم الايطالية ، اي انك لا تحادث اباك ، مما يعني انك لما تصبح في الثلاثين تكاد لا تعرف من انت . وهو امر سيء جداً . انه لفظيع ان نطلب من حضارة ما ان تبدأ بفحص نفسها حسب هذه التحديدات . ولكن ان كنا نبدأ بفحص انفسنا حسب هذه التحديدات فاننا نقترب كثيراً الى ما نفترض انه هوية حقيقية ويقل خطر الامريكيين السود الى درجة كبيرة ، هؤلاء الامريكيين السود الذين لهم حس بهويتهم أقوى بكثير مما للبيض لأنه لم يكن لهم بد من ان يتحدثوا مع آبائهم . ان التدرج في مراقي الحياة امر غريب جداً عند الامريكي الزنجي . انك تفعل ما تفعل ، وتحصل بعد ذلك على وظيفة احسن من وظيفة ابيك : كان ابي وضيع الحال ، وها انا كاتب . ولكن الظروف التي يحقق الانسان فيها ذلك ، كزنجي ، تختلف كثيراً عن الظروف الامريكية ، بل انها تكاد تناقض الظروف الامريكية . لا يوجد زنجي امريكي واحد آمن بأي كتاب من كتب هوراشيو آلغر ، الابن ، المفرطة في التفاؤل ، اما الامريكيون فلا يزالون يؤمنون بها . هنا أرى الصعوبة ، بل المعضلة ، الحقيقية : ما اذا كان المرء سيستمر في العيش في بلاد اخترعها من شعوره بالغربة والذعر ، او يعالج ما حصل بالفعل في هذه البلاد وما يحصل حالياً .

— ليس فقط في الولايات المتحدة بل في افريقيا ايضاً يوجد اتجاهان : يؤدي اولهما الى ما يطلق عليه بعض الزنوج الفرنسيين اسم « الزنجية » ( او نغرتيود ) — وهي فكرة ليست بسياسية عدوانية ، ولكنها تقول بان الزنجي ليس مجرد رجل ولكنه نوع خاص جداً من الرجال ذو تقاليد خاصة تربطه بوسائل تعبير خاصة ، الخ . اما الاتجاه الثاني فينادي بالمساواة كيما يُحكم على الناس كأفراد بمواهبهم التي لهم . اننا نرى هاتين الحركتين في الولايات المتحدة ايضاً : تؤدي احداهما الى التحرير ، وتؤدي الاخرى ( و« المسلمون

السود » يعبرون عنها ) الى التوكيد على شيء خاص في الزنوج لا يشاركهم بـــه احد . السؤال الآن هو : اين يجب على المرء ان يسلخ نفسه عن هذا الاتجاه او ذاك ؟ او هل هذا سابق لاوانه ، لان النقطة الرئيسية هي تركيز المسألة وتسليط الضوء عليهـا ؟ اخشى الا يكون كلامي واضحاً ؟

**بولدوين :** اظن اني فهمت مرادك . من الواضح ان جميـع هذه الاسئلة مشحونة ! انا شخصياً افهم مدلول الزنجية ، ولكني اعرف اني لا اثق بها ابداً ؛ وانا اعارض حركة المسلمين السود ( وهي جماعة زنجية عنصرية في امريكا ، اتخـذت لفظة الاسلام لا روحـه اسماً لها ) . ولكن ذلك خارج عن الموضوع نوعاً ما ، ومع هذا لنتوقف عنده قليلا . لما سمعت لاول مرة بالزنجية ، قبل ست سنوات او سبع ، كان السؤال الذي خطر ببـالي : « كيف ستعمل على ربط اختبارات مختلفة هذا الاختلاف الكبير ؟ » لا يكفي المرء ان يولد في جمايكا او باربادوس او البرتغال او نيويورك ، ولا ان يكون اسود ، مـا لم ينمُ في معارضة محيطه ومحتويات محيطه ؛ ووضع الانسان في جمايكا يختلف عن وضعه في هارلم . بل اني لا اظن ان واحداً من جمايكا وآخر من هارلم يجدان اشياء مشتركة كثيرة للتحدث عنها ، ولا اظن انهما يتحدثان اطلاقاً عن شيء آخر غير البيض ! لذلك يبـدو لي مفهوم الزنجية وكأنه من قبيل تقدير سلسلة من الظروف التي تكتب عليـك ، ان كنت اسود ، بانك مضطهد في كل الحالات ، ولكنها تتغافل عن الحقيقة بان الاضطهاد لا يدوم للابـد وعن الحقيقة بان الملايين العديدة من البشر في العالم لا تتوحد بالضرورة بسبب الاضطهاد. ولكن حتى اذا كان هذا صحيحاً ، وهو امر اشك به ، فانني لن اثق بها لانك تقول انها ليست مفهوماً سياسياً عدوانياً ، ولكني اعتقد انها تحتوي على مفهوم سياسي خطير جداً ، وهو سيطرة السود لا اكثر ولا اقل . لقد قاسينا كثيراً ( الله يعلم كم قاسينا ) في كل انحاء العالم ، بيضاً وسوداً ، من مفهوم سيادة البيض ؛ ولذلك فاني اميـل الى رفض هـذا المفهوم الجديد رأسا . ان حركة المسلمين السود مرتبطة بهذا ، سواء ادركته ام لم تدركه : انها ، حسب اعتقادي ، جزء من الخطأ نفسه . وانه لما يؤثر في النفس ان تسمع المسلمين السود وهم يتحدثون ، وخاصة في احياء هارلم في امسيات السبت ، ويخـبرون الشعب التعيس المكبل بما يشابه معسكرات الاعتقال عما يحصل . وانه لمن الفظيع ان تستمر بتسديـد الاجار وبتبذير الاموال والجهود وتبقى كما انت ، ليس فقط قاهراً نفسك في ذلك الوضع بل ايضاً مشاهداً ابنك مقهوراً . ثم ان المعيشة في بلاد تتظاهر ان لا شيء يحدث مـن

هذا القبيل تخلق صمتا ويأسا كاملين . وهكذا فان الخطيب المسلم الاسود حينما يتكلم انما يكون الشخص الوحيد في امريكا الذي يتكلم بما يشعر به سكان هارلم بالفعل . ويسهل على السامعين ، بالتالي ، ان يستخلصوا من ذلك ما استخلصه كثيرون : من ان الامريكي الابيض لا يستحق ان يصغى اليه او ان يتحدث معه ، وانه في الحقيقة شرير ، وان النظام الشامل الذي يعرضه البيض شر كله ، وان السود افضل من البيض بسبب موقف البيض من السود وطريقة معاملتهم . ذلك امر لا مردّ له : والمعضلة هنا هي ان الطريقة الوحيدة للرد على ذلك لا تكمن بيد السود بل هي بيد البيض لوحدهم . والطريقة الوحيدة التي تتمكن الحكومة الامريكية بواسطتها ان تقضي على حركة المسلمين السود هي ان تلغي الظروف التي تنمو هذه الحركة فيها . لا وسيلة اخرى الى ذلك . السبيل الوحيد الى اسكات مالكولم اكس ( احد قادة المسلمين السود ) عن الكلام في هارلم مساء كل سبت هو القضاء على هارلم نفسها. اخرجوا الزنوج باسرهم من هناك ، اسمحوا لهم بالذهاب حيث شاؤوا ، واسمحوا لهم ان يفعلوا ما شاؤوا، مثل اي انسان آخر، دون ان يعاقبوا بسبب لونهم . والى ان تفعل الحكومة الامريكية ذلك ستظل حركة المسلمين السود خطراً كبيراً ، هي وسائر الطاقات الموجودة في اماكن الغيتو هذه التي تقدر ان تفجر البلاد . والواقع ان بامكانها ان تفجر العالم باسره ، لان ما على اوربا ان تفعله في الرد على مفهوم الزنجية هو اعادتها لفحص تاريخها ، ذلك ان الفرنسيين قالوا ، لعدة سنوات ، انهم احسن من غيرهم لمجرد كونهم فرنسيين ، وقال الانكليز انهم احسن من غيرهم لانهم انكليز .كل الاوربيين قالوا ذلك لعدة اجيال .

ما دام مبدأ سيادة البيض متسلطاً كما هو الآن ، فاننا نواجه خطر قلب الكابوس رأساً على عقب لمدة سنوات لا تحصى ، يكون الحذاء فيها في القدم الاخرى ، والكعب على رقاب اخرى . واني اعتقد ان ذلك لا يستحق الحصول . يكفينا كابوس واحد .

– فلننتقل من المسرح الامريكي الى المسرح العالمي . اعتقد انك كثيراً ما قلت اننا سنضطر في اوربا بشكل او بآخر ان نجابه في يوم ما في المستقبل مشكلة وجود اعداد ضخمة من غير البيض ، وان ما يجري حالياً في امريكا قد يعلمنا دروساً في اوربا . والواقع اننا نشعر ببعض التعالي على الامريكيين لمجرد عدم وجود المشكلة عندنا . ولكنك تشعر

ان المشكلة ليست بعيـــدة عن تاريخنا ، بل انها ستصبح ، بلا شك ، من تاريخ كل مجتمع ابيض .

**بولدوين :** اعتقد ذلك لأن مبدأ سيادة البيض لم يبدأ في امريكا ، بل بدأ هنـــا في اوربا . وللمبادىء طريقـــة فظيعة في العودة الى المكان الذي ابتدأت منه . كانت رؤية شعارات مثل « حافظوا على بريطانيا بيضاء » في لندن صدمة عظيمة لي . كذلك كانت الاعمال الفظيعة التي ارتكبت خلال حرب الجزائر ، والكتابات البذيئـة بحق الجزائريين على الجدران في باريس . وقد علّمتني اختباراتي انه في كل مكان ، في كل مجتمع يفرض الرجل الاسود فيه نفسه كانسان وككيان ، فانه يفرض وجوده كخطر على النظـــام الاجتماعي . ورد فعل كل المجتمعات واحد : محاولة دفع ذلك الرجل الاسود الى الخارج . وهذا ما قد بدأت اوربا تفعله . واعتقد ان باريس ستكتشف اشياء تعيسة عديـدة عن نفسها ، عندما يزداد في المستقبل عدد الفرنسيين السود والانكليز السود الذين يأتون بازدياد الى باريس ولندن والى البلاد التي ساعدت في الحقيقة على خلقهم وعلى خلق مشكلتهم الحاضرة ونفسيتهم الحاضرة – ستكتشف باريس ذلك تحت ضغط وجودهم فيها . واذا نجح الامريكيون في تجربتهم فان التجربة المذكورة قد تثبت قيمتها لسائر انحاء العالم .

– هنالك عنصر شددت كثيراً في كتبك على اهميته بالنسبة الى وعي المسألة الزنجية : اقصد العنصر الشهواني ؛ ولا اظن اننا يجب ان نغفل هذا الموضوع في حديثنا . انهـــا لحقيقة ان هذا النوع من الوعي المريض ، الذي يتألف من الجاذبيـة والنفور والرغبـة في الاخصاء وما شابه ذلك ، لا يوجد هنا في فرنسا على الأقـــل ، بالنسبة الى ما ذكرت وجوده في المجتمع الابيض البروتستانتي الأنكلو ساكسوني . وعلى كل حال ، ان لمشكلة الشعور باختلاف يؤدي الى قيام جاذبية وخوف جنسيين مكاناً عظيماً في كتاباتك ، فهل نستطيع تجاهلها بالمرة ؟

**بولدوين :** لا نستطيع ان نتجاهل ذلك ، لكننا لا نستطيع ان نوضحه كثيراً في الوقت نفسه . ولكنه امر غريب جداً ؛ استطيع ان اتكلم عن امريكا وحدهـا بثقة ، وقد شاهدت الامر نفسه في انكلترا ايضاً . يبدو لي ان الفرنسيين ( وانا هنـــا اخمن ، ولكن تخميني نتيجة السنوات التي عشتها في باريس ) ليسوا في الحقيقة اقل عنصرية من

أية جماعة اوربية اخرى . الفرق الوحيد الذي وجدته في فرنسا ( وقد اكون مخطئاً في ذلك ) هو ان مفهوم التزمّت هذا ، والحاجة الى إماتة الجسد ، يبدو انهما لم يتأصلا قط في فرنسا بالفعل ، وربما كان ذلك لأنها بلد كاثوليكي . وبالتالي فان الاسود لا يشكل خطراً شخصياً ولا جنسياً عاطفياً ولا نفسياً على الفرنسي مثل الخطر الذي يظهر انه يشكله على الانكليزي وأعرف انه يشكله على الامريكي. اعتقد ان ذلك جزاء لما كان يتمتع به الرجل الابيض من سلطة على جسد الاسود مدة طويلة . ومهما كان رأي اعضاء مجلس الشيوخ في الولايات الجنوبية ، فان ذلك النوع من التسلط وحشي: انه فظيع بالنسبة الى المتسلَّط عليه، والى المتسلِّط، على السواء . من الواضح اني انا ، بالرغم من شدة سوادي ، لست بسواد الافريقي. لا يعني ذلك ان جدتي كانت تغتصب الرجال: انها هي التي اغتُصبت .افظع ما في الامر ان الحياة الامريكية لا تعترف بهذه الحقيقة : فالامريكيون غير مستعدين ان يقبلوا بما فعلوا وبما يفعلون، ولا ان يقبلوا بهذه الحقيقة : وهي ان الذين يدعونهم زنوجاً هم ايضاً اخوة لهم واخوات وابناء عمومة واخوال واعمام . اعرف رجلا في اقصى الجنوب يقل عني سواداً بكثير ، هو ابن لرجل ذي مكانة مرموقة في بلدته ؛ انه يذهب الى مكتب والده فلا يفتح له المكتب ، لكنه يذهب الى مكتب والده مرة في الاسبوع او مرتين ويجلس في غرفة الاستقبال كيما يراه والده فحسب — يفعل هذا عن يأس صرف وعن نكاية . هذا امر مهم لانه يعني ان البيض ، الذين استطاعوا ان يفعلوا بالزنجيات ما طاب لهم مدة طويلة ، قد اخترعوا فكرة ابعادي عن مخدع المرأة البيضاء لانهم يخافون من انتقامي بان افعل المثل . هناك شيء آخر غريب جداً : ان كنت تطلب الى نسائك البيضاوات ان يبتعدن عني لاني انشط جنسياً ، بينما تقضي وقتك في الجانب الآخر من البلدة مع الفتيات الزنجيات اللواتي تجدهن ، او اذا كنت تحلم بهن فقط ، فانك لا تعير زوجتك اهتماماً ، بل تكون غرقاناً في اللحم الاسود الى اذنيك . وبالتالي فان ما حصل في الجنوب لا بد ان يحصل هنا ايضا، ان عاجلا او آجلا: ستصيح امرأة بيضاء مهسترة، مهسترة من الشوق او الاهمال ، عندما تراني : « لقد اغتصبني ! » ستسلط كل جوعها الجنسي عليّ ، لان الرجل الابيض قد اكد لها اني افضل منه في الفراش . يبدو انه امر غريب يفعله الانسان لنفسه ؛ خاصة انه غير صحيح ، وهو يستوجب مفهوما غريبا وصبيانيا للجنس . اننا نقول : « ليس اللحم ، بل الحركة » ! انه تعبير فظ جداً ، ولكنه لا يخلو من الحقيقة . اذا كنت لا تعرف كيف تقوم بنشاطات الحب (والحب

اكثر من عملية جسدية ) ، فان حجم العضو التناسلي غير مهم . الذي حصل هو ان الامريكي الابيض اوقع نفسه في فخ المنافسة الصبيانية : « اشارط ان عضوي التناسلي اكبر من عضوك » ، اما الذي يدفع ثمن هذه الاوهام فهو الزنجي . لا بد ان في عقل من يخصي شخصا آخر تعاسة ما ، وانها لمرعبة ومعقدة بحيث ليس للانسان امل بمجرد البدء بتوضيحها. بل ان التفكير في كيفية كتابتها يستغرق سنوات، اذا كنت تتجرأ على الاعتقاد انك تستطيع الكتابة فيها . الا ان ذلك هو في الحقيقة ارعب ما في ما نسميه بمشكلة الرجل الابيض . فلا شك انه امر فظيع ان يتجول المرء في العالم ، معتقداً ان جميع السود الذين يراهم يقدرون على ان يخطفوا امرأته منه .

– لا ازال اود ان اعرف ما اذا كانت هناك علاقة ما بين مشكلتك الشخصية ككاتب وكفرد عليه ان يخلق اوضاعا فردية وبين دورك في هذا الوضع الجماعي ، لانك كما قلت قبلا عليك ككاتب ان تقول شيئا جديداً لم يقل من قبل ، بينما انت كداعية ، كرجل يسلط الانوار على هذه المسائل ، لا تستطيع ان تتحاشى قول اشياء قيلت قبلا وستقال من بعدك وستتكرر دائما ، لان هذا هو سبيل التقدم السياسي والاجتماعي . اي مشكلة يترك هذا الوضع عندك شخصيا ؟

**بولدوين** : انه يترك فيّ مشكلة كبيرة لان اهتمامي بالناس لا يقوم في الحقيقة على هذا الصعيد العام . فاهمية الزنجي ، مثلا ، ترتبط عندي بمجالات ونطاقات اختبار يعبر عنها بالسياسة طبعا ، ولكني احب ان اظل حيا الى ان استقصيها في ما انتجه من قصص روائية ومسرحية . اشعر ان هذه الشهرة الحاضرة تعرقلني ، لانها تناقض ذلك النوع من الجهاد الذي يجب ان يحصل في صمت وفي وقت طويل، والذي هو خطر جداً بالضرورة ، لان على الانسان ان يحطم كل التحديدات القائمة . احب ان اكتب اشياء مختلفة تماما عما كتبت وان اذهب فيها ابعد مما ذهبت اليه بكثير . وانا واثق اني سأفعل ذلك ان بقيت حيا . الا انه تناقض غريب جداً ، او ان اردت ان استعمل تعابير ابسط اقول : يصعب عليك ان تركز عينك او عقلك على ما تعلم انه معقد وان كل واحد يحب ان يبسطه ، ويصعب ان تتمسك بما تعلم انه الحقيقة ، وان تحاول ان تصل الى بساطة اجدّ واصدق . المسألة مسألة قوة وصلابة ، وارجو ان يتيسر لي قسط كافٍ منهما .